معركـة ملازكـرد

"جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية"

(ذو القعدة 463هـ/ آب 1071م)

ثبزفـد ثصمو بمپسذ: 2003/9/22ن ثبزفـد كثزمه مميضس: 2004/9/26ن

محمد نايف العمايرة* و محمود محمد الرويضي**

ملخص

تذكر المصـادر التاريخية العديد من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، غير أن معركة ملازكرد (463هـ/ 1071م) لم تجد اهتماماً من الباحثين المحدثين كغيرها من المعارك الأخرى. وبخاصـة أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للخلافة العباسية عامة والسلاجقة خاصـة، ولما ترتب عليها من آثار سلبية عادت على الدولة البيزنطية.

وقد بلورت العلاقات الإسلامية البيزنطية، وغيرت مجرى أحداث التاريخ الإسلامي في منطقة الثغور الإسـلامية بوابه أرمنية الكبرى واسيا الصـغرى، وفسحت المجال أمـام نشر الإسلام في المنطقة.

وقد جاءت هذه الدراسة لتوضـيح موقع المعركة ومسمياتها وأسباب حدوثها والاستعدادات التي سبقت المعركة من كلا الطرفين، ومجريات المعركة والنتائج التي ترتبت عليها.

Abstract

Historical resources mention a lot of battles in Islamic history. The battle of Mnazikert , however, received very little attention if any at all from modern historians. This battle was of great importance for the Abbasid Caliphs in general and for the Seljuk's in particular.

Mainly it had negative impact on the Byzantine Empire. The battle also helped shape Islamic- Byzantine relations and change the course of history in Islamic outposts, the gate to Greater Armenia and Asia Minor. It also helped spread Islam in the area.

This study comes to explain the different reasons that lead to this battle and the preparedness on both warring parties- Muslims and Byzantines alike. The outcome of this war will also be discussed.

* قسم التاريخ، جامعة مؤتة.
** قسم التاريخ، جامعة مؤتة.

تمهيد

العلاقات بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية قبيل معركة ملازكرد

تمـيزت العلاقـات بيـن الدولـة العباسـية والإمبراطوريـة البيزنطيـة قبيـل معركـة ملازكـرد بتذبذبها بين الحـرب والسلم، وإن غلبت الحـرب على معظـم مراحلهـا، إلا أنهـا حـدثت بـعض

الهدن المؤقتة. ولا نستطيع فهم العلاقات العباسية مع الإمبراطورية البيزنطية إلا من خلال بيان جذور العلاقات السلجوقية البيزنطية لأن السلاجقة كانوا القادة الزمنيين للخلافة[1].

تتضـح بداية العلاقات الدبلوماسية السلجوقية البيزنطية من خلال رسالة الإمبراطور قسطنطين التاسع والهدايا الثمينة التي أرسلها للسلطان طغرلبك عام (441هـ/ 1049م) عارضا عليه الصلح والهدنة، وإطلاق سراح الأسرى الابخاز[2]، وكذلك رسالة الإمبراطور إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله عام (443هـ/ 1051م) عارضاً فيها الصلح وعقد هدنة مع الخلافة والسلاجقة، وانتهى الأمر إلى عقد هدنة أشترط فيها الخطبة للخليفة في مسجد القسطنطينية، مقابل إيقاف غزوات السلاجقة لأراض بيزنطة[3]، كما أرسلت الإمبراطورة ثيودورا للخليفة القائم بأمر الله عام (447هـ/ 1055م) تعرض عقد هدنة مقابل دفع الجزية للتخلص من غزوات السلطان طغرلبك لأراضي بيزنطة[4]. بينما نجد السلطان طغرلبك يبادر بمراسلة الإمبراطور البيزنطي إسحاق الأول عام (449هـ/1057 م) يعرض عليه عقد هدنة[5]. ولعل السبب في ذلك حتى يتفرغ لحل مشكلة البساسيري والوضع الداخلي في بلاد الشام.

ويبدو أن استمرار عقد الهدن بين السلاجقة والبيزنطيين كانت تظهر عندما يتولى سلطان جديد أو إمبراطور جديد، ولهذا فان البيزنطيين طالبوا من وزير الخليفة فخر الدولة بن جهير تجديد الهدنة مع السلاجقة سنة (457هـ/1056م) والإقرار بما جاء فيها[6]. إضافة إلى وجود بعض المحاولات من الإمبراطور البيزنطي لعقد هدنة قبل معركة ملازكرد بسنة واحدة، ورغبة الخليفة والسلطان السلجوقي في ذلك[7].

كان السلطان السلجوقي آلب أرسلان قد استولى على الجزء الأكبر من البلاد الواقعة بين بحيرتي فان وأورمية بالإضافة إلى جورجيا وبلاد الأرمن وعاصمتها آني القديمة، وكانت تُعدُّ الحصن الواقي للإمبراطورية البيزنطية أمام غزوات السلاجقة من الشرق، وقد فتحت هذه الغزوات الطريق أمام السلاجقة لتكثيف غزواتهم على أراضي الروم والتوغل فيها وبخاصة الولايات الأرمنية والأناضول وكبادوكيا[8].

اتخذت الإمبراطورية البيزنطية عدة إجراءات أمام ازدياد نفوذ الأتراك السلاجقة وغزواتهم في أراضي الإمبراطورية، فرأت تأمين حدودها الشرقية المتمثلة بأرمينية وإماراتها الأرمنية، لما

يمثله الأرمن من خطر على الإمبراطورية البيزنطية، نتيجة للخلاف الديني بينهما، ولذلك لم تكن الإمبراطورية البيزنطية تأمن الأمراء الأرمن في المنطقة، فبادرت إلى ضم الإمارات الأرمنية تحت سيادتها، وتهجير سكانها من الأرمن إلى آسيا الصغرى، وتمنحهم القطائع فيها. وكانت هجرتهم قد أخذت شيئاً من التنظيم والاهتمام[9].

وأخذت سياسة الإمبراطورية البيزنطية بعد ضياع أرمينية منها تعيد النظر في إعادة السيطرة عليها من جديد، وجعلها الدرع الواقي لها من غزو الأتراك السلاجقة، وبخاصة أن المشكلات الحدودية بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية تأزمت وازدادت حدتها جراء ازدياد الهجرات التركمانية السلجوقية واجتياحهم للأراضي البيزنطية، فكان هدف الإمبراطورية إيقاف هذا المد من الهجرات ووضع حدٍّ للتغلغل والدمار الذي يلحقه السلاجقة في الأناضول، هذا بالإضافة إلى رغبة الإمبراطورية في إعادة سيطرتها على بعض القلاع والحصون الإسلامية وشحنها بالجند للوقوف في وجه الزحف السلجوقي[10].

وقد بدأ تنفيذ السياسة البيزنطية أثناء انشغال السلطان آلب أرسلان في إخضاع بلاد الشام وبخاصة حلب لسلطان السلاجقة[11]، وانشغاله أيضاً في خطته الرامية إلى دخول مصر والقضاء على الدولة الفاطمية[12]. ولم تكن عملياته العسكرية التي قام بها في أراضي الإمبراطورية البيزنطية إلا في نطاق العمليات الاعتيادية للجيش السلجوقي[13].

لقد تمثلت سياسة الإمبراطورية البيزنطية بسياسة الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينس (460- 463هـ/ 1067م- 1071م) الذي رأى إعادة السيطرة على أرمينية وتحويلها لدرع واق لحدود الإمبراطورية البيزنطية من هجمات السلاجقة المتلاحقة[14].

ويبدو جلياً أن غطرسة الإمبراطور رومانوس كانت دافعاً قوياً في توجهه إلى أراضي المسلمين ورغبته في القضاء عليهم وعلى الإسلام بسبب انتشاره داخل أرمينية، وخير ما يدل على ذلك ما ذكره ابن العبري على لسان رومانوس إذْ قال: "لا يتيسر لي الرجوع بعدما افرغت خزائني من المال، وأصبحت الغلبة بجانبي"[15].

التسمية والموقع:

تختلف المصادر والمراجع حول تحديد اسم المكان الذي حدثت فيه المعركة، غير أن غالبيتها يحددها في منطقة ملازكرد من أعمال بلاد خلاط[16]، وقد جاء لفظ ملازكرد مرسوماً في المصادر والمراجع بعدة أشكال مثل ملاذكرد ومنزيكرت ومنازكرد، منازجرد Manzikert، ويبدو أن جميعها تصحيف للكلمة نفسها مع الاختلاف باللفظ من مصدر إلى آخر، بالإضافة إلى أن لفظ الكلمة في اللغات الأجنبية وترجمتها إلى اللغة العربية قد يغير اللفظ وبالتالي رسم الكلمة، والمقصود في النهاية الكلمة نفسها ملازكرد وهو الموقع الذي حدثت فيه المعركة.

وتذهب مصادر أخرى وتحدد موقع المعركة في بلاد خلاط[17]. والغالب أن هذا اللبس لا يعد اختلافاً إذا ما أخذ بعين الاعتبار أن ملازكرد من أعمال إقليم خلاط، وبلدة خلاط قصبة الإقليم[18]، ولهذا فإن هذه المصادر قد حددت الإقليم بشكل عام دون أن تحدد الموقع الذي حدثت فيه المعركة بشكل دقيق.

وتحدد مصادر أخرى موقع المعركة في موضع يعرف بالزهوة أو الرهوة، يقع ما بين بلدتي خلاط وملازكرد[19] ولعل هذا الموقع أقرب إلى الصواب حيث أن ملازكرد بلدة وليس من المعقول حدوث المعركة فيها، كما تشير أيضاً المصادر أن موضع الرهوة من ضمن أعمال بلدة ملازكرد، ولهذا فإن المصادر نسبت المعركة أحياناً لخلاط مركز الإقليم، وأحياناً أخرى لبلدة ملازكرد، ولا يعتقد أن هناك خلافاً بين المصادر، وإن ورد بعض التسميات المتضاربة إلا أنها تعطينا الدلالة نفسها.

وأما المراجع الحديثة فبعضها يحدد موقع المعركة بالقرب من بحيرة فان (آن)[20] والبعض يحددها شمال البحيرة[21] ويذهب آخر إلى وقوعها في نواحي خلاط جنوب غربي ملازكرد، وشمال غرب بحيرة فان[22].

ويبدو مما سبق أن المراجع الحديثة تذهب لتؤكد ما جاء في المصادر الأولية من حيث تحديد موقع المعركة، ويمكن حصر ساحة المعركة في المنطقة الواقعة ما بين ملازكرد وخلاط في موقع الرهوة شمال غرب بحيرة فان وخلاط وإلى الجنوب الغربي من ملازكرد كما هو مبين في الخريطة المرفقة.

الاستعدادات قبيل معركة ملازكرد:

تكاد تجمع غالبية المصادر الأولية على أن الجيش البيزنطي كان على أتم الاستعداد من حيث العدد والعدة، إذْ رمت الروم إلى الديار الإسلامية أفلاذ أكبادها وأخرجت الأرض أثقالها من عديدها[23].

ويحدد سبط ابن الجوزي (654هـ/ 1256م)[24] الجيش البيزنطي بأربعمائة ألف مقاتل موزعين على النحو الآتي: مائة ألف مقاتل، ومائة ألف نقاب، ومائة ألف جُرخي[25]، ومائة ألف صانع. أما من حيث المعدات، فكانت لديهم حوالي أربعمائة عجلة تجرها ثمانمائة من الجواميس، وألف عجلة أعدت لحمل السلاح والمنجنيق وآلة الزحف، وكان معه منجنيق يعمل على إمداده ألف ومائتا رجل، ويقدر وزن الحجر الذي يقذفه بعشرة قناطير[26] وتساوي كل حلقة منه مائتي رطل شامي[27]. ويشارك كل من ابن الأثير (630هـ/ 1232م)[28]، والأصفهاني (643هـ/ 1245م)[29] وابن كثير (774هـ/ 1372م)[30] والدواداري (736هـ/ 1335م)[31] سبط ابن الجوزي في هذا الرأي، مع تفاوت في ذكر الأعداد.

وأما باقي المصادر الأولية فتجعل العدد يتراوح ما بين مائة ألف مقاتل[32] ومائتي ألف مقاتل[33] إلى ثلاثمائة ألف مقاتل[34] باستثناء ابن القلانسي (555هـ/ 1160م) الذي يجعل العدد ستمائة ألف من الروم وسائر الطوائف[35].

الإشارات التي تذكرها المصادر الأولية تعطي انطباعاً أن عدد قوات الجيش البيزنطي يتراوح ما بين مائة ألف إلى أربعمائة ألف مقاتل إذا استثنينا رواية ابن القلانسي وأن هذه الأعداد مجهزة بكامل معداتها الحربية ومتأهبة على كل موجة لخوض معركة فاصلة مع المسلمين.

ويذكر المؤرخ اللاتيني وليم الصوري (581هـ/ 1185م) إن الإمبراطور "حشد قواته من الفرسان ومن جميع تشكيلات الرجالة، وجمع كل ما أمكن للشعب إحضاره ... وتقدم ... نحو عدوه على رأس فيالقه المحشودة من الرجالة ترافقه قوة ضخمة من الفرسان وقابله بقوة قوية جدا". ويتضح من رواية وليم الصوري إن الإمبراطور حشد أعداد كبيرة من القوات، وهذا ما يجعل روايته تتفق مع باقي المصادر، وان لم يحدد الأعداد وتركها مبهمة[36].

إن الأعداد الهائلة التي تذكرها المصادر الأولية وتنحصر تاريخ وفاة أصحابها في بداية النصف الأول من القرن السابع الهجري وبداية الثالث عشر ميلادي، تعتمد في روايتها على ذكر معلومات فرعية واختصارات لبعض التفاصيل التي أوردها سبط ابن الجوزي المعاصر لهم، وان لم تصرح تلك المصادر بهذا؛ ولهذا ورد في هذه المصادر بعض الملابسات في ذكر الأعداد وتفاوتها من مصدر إلى آخر. ولذلك فان رواية سبط ابن الجوزي اقرب للواقع وبخاصة انه اعتمد فيها على جده ابن الجوزي (ت597هـ/ 1200م) المؤرخ للسلاجقة في هذه الفترة ، وهي الرواية الوحيدة التي تحتوي جميع التفاصيل الواردة في المصادر الأخرى.

ويمكن تأكيد رواية سبط ابن الجوزي من خلال مراسلات السلطان السلجوقي للإمبراطور حول عقد صلح بادئ الأمر وعودة كلاهما إلى بلادهما، ورفض الإمبراطور العرض بحجة انه استنفذ أموال خزائن إمبراطوريته على تجهيز هذا العدد من الجيش الذي أعده لاجتياح ارض الشام ومصر، وهذا ما يؤكد ضخامة الجيش الذي كان برفقته، وإذا ما استجاب للصلح فانه لا يجد ما يعوضه عن الأموال التي أنفقها. كما انه أكد للقادة العسكريين والإداريين الذين وضعهم برفقته انه سيقطعهم الأراضي التي سيتم الاستيلاء عليها، ويعتمد عليهم في إدارتها، ولابد لهم من حاميات عسكرية للاعتماد عليها في حفظها والذود عنها، وهذه المهمة تحتاج إلى أعداد كبيرة من الجيش، وهذا ما يؤكد كثرة أعداد الجيش البيزنطي في هذه الحملة.

ولكن على الرغم من الأعداد الهائلة التي تذكرها المصادر الأولية إلا أنها كانت تتكون من عناصر بشرية متضاربة في الآراء والأهواء والمذاهب تمثلت بعناصر مرتزقة من الروم والأرمن والفرس والبجناك[37] والغز والإفرنج[38]، ويضيف ابن خلدون (808هـ/ 1469م) والنويري (773هـ/ 1332م)[39]: الزنج، والروس والكرج والقفجاق[40]، وكذلك الفرنسيين والسلاف والأتراك المنحدرين من أصول أخرى، وأتراك من جنوب روسيا، وغيرهم[41].

هذه الأجناس والعناصـر البشرية المتباينة في الأهواء والميول والمذاهب كانت تواجهها مشكلة صعبة، تتمثل في صعوبة إخضاع تلك العناصر المتباينة لأوامر قيادية واحدة، ولذلك سرعان ما دبت الفتن فيما بينهم كما يقول الحسيني عنهم "أقوام أطالت الفتن بهم سواعدها"[42].

ويضاف إلى هذه الاستعدادات في العدد والعدة، فإنه كان يرافق الجيش البيزنطي خمسة وثلاثون ألف بطريق[43] وقومص ودوقس[44]، وإن دل هذا الأمر على شيء فإنه يدل على أن الحملة تضمنت العامل العسكري والإداري بقصد القضاء على الديار الإسلامية والإسلام، والاستيلاء عليها وإقطاعها للحكام الإداريين الذين برفقته، وهذا ما أكده الإمبراطور رومانوس الرابع، قائلاً: "لا أرجع حتى أفعل ببلاد المسلمين مثل ما فُعِل ببلاد الروم"[45]. وتقدم الإمبراطور لغزو بلاد المسلمين وفي نيته الاستيلاء على بلاد الشام ومصر وخرا سان والري والعراق بسبب الخطر الذي كانت تشكله محاولات السلاجقة لضم بلاد الشام ومصر جرّاء عمليات السلطان آلب أرسلان العسكرية في شمال الشام وضم حلب[46].

ومما سبق يمكن استنتاج الصورة الآتية عن الجيش البيزنطي:

أولاً : كان يتكون من أعداد هائلة مزودة بكامل عدتها الحربية المتطورة كالمنجنيق والعربات.

ثانياً : الإعداد والتخطيط المسبق من قبل الإمبراطور رومانوس لخوض معركة فاصلة مع المسلمين، ووضع نصب عينيه النجاح والنصر المحقق.

ثالثاً : العناصر البشرية المتباينة التي يتكون منها الجيش البيزنطي، أفقدت الجيش الوحدة العسكرية، الأمر الذي أدى إلى عدم المقدرة على تلقي التعليمات والأوامر من القادة.

رابعاً: الإعداد والتخطيط المسبق للاستيلاء على بلاد الشام ومصر، وللقضاء على الدين الإسلامي والمسلمين.

والواقع أن خروج الإمبراطور رومانوس الرابع على رأس جيش كبير إلى الأراضي الإسلامية كان مفاجأة للسلطان آلب أرسلان، إذ لم يكن مستعداً لمواجهة مثل هذا الجيش وخوض معركة فاصلة معه، لأنه كان منشغلاً آنذاك أولاً: بحملته على بلاد الشام لإخضاعها لسلطان الدولة العباسية[47]، وثانياً: بمخططه الرامي إلى دخوله مصر، وإنهاء الخلافة

الفاطمية[48]. هذا فضلاً عن أن جيشه آنذاك قد أنهك جراء العمليات العسكرية التي خاضها في بلاد الشام، وكان يستعد للعودة إلى العراق، ومن المؤكد أن هذا يقلل من كفاءة الجيش، ولذلك لم يكن لديه الاستعدادات الكافية لخوض مثل هذه المعركة الفاصلة.

وعندما علم السلطان آلب أرسلان بتحرك الجيش البيزنطي لأراضي آسيا الصغرى وأرمينية[49] قاصداً طرد الأتراك السلاجقة منها والاستيلاء عليها وإغلاق طرق أرمينية في وجه السلاجقة. وجد نفسه أمام أمرين كلاهما مُرّ، أولهما، إما أن يتابع مسيره إلى العراق ويترك الجيش البيزنطي يعيث في المنطقة فساداً، وهذا أمر غير مقبول لأنه يضيع كل ما أنجزه السلاجقة خلال السنوات السابقة باسم الدولة العباسية في المنطقة. أما ثانيهما، وهو الأمر الأصعب والخيار المفضل، أن يواجه الجيش البيزنطي بما يتوافر لديه من قوات إسلامية، والتي يصفها سبط ابن الجوزي بقوله: "عادوا جافلين من الشام وتلك الجفلة استهلكت أموالهم"[50] وعلى الرغم من ذلك كانوا يتصفون بالفروسية والشجاعة وكان كل واحد منهم يركب فرساً وبجانبه آخر يرافقه[51].

والمفاجأة بخبر زحف الجيش البيزنطي ووصوله إلى الأراضي الإسلامية لم تسنح الفرصة للسلطان آلب أرسلان بحشد عساكره بالشكل الذي يجب، ولقرب جيش العدو من أراضي الدولة الإسلامية[52]، وأنه إذا ما أراد حشد المزيد من عساكره الموجودة في بلاد الشام أو من الموجودين في الحاميات العسكرية القريبة منه، فإنه لا يستطيع ذلك بحكم أن الوقت لا يسير في صالحه، وبخاصة أن الجيش البيزنطي قد وصل آنذاك إلى ساحة المعركة بعد احتلاله مدينة ملازكرد، وهذا ما يؤكده الأصفهاني لقوله: إن السلطان آلب أرسلان "لو تمهل بحشد الجموع لذهب الوقت، وعظم بلاء البلاد"[53].

اتخذ السلطان آلب أرسلان قراره بملاقاة الجيش البيزنطي بما يجتمع لديه من قوات، ونذر أرواحهم في سبيل نصرة الإسلام والتصدي للكفار[54]، فأبعد زوجه وولده ملكشاه ووزيره نظام الملك إلى مدينة همذان، وأكد عليهم إمداده بالجنود على وجه السرعة[55]، لأنه بقي في قلة من جنده تختلف المصادر الأولية في إعطاء عددٍ ثابتٍ لها. فأغلبها يجعله حوالي خمسة عشر ألف مقاتل[56]، وأخرى تعطينا أرقاماً قريبة من هذا الرقم، فسبط ابن الجوزي يجعلهم

عشرة آلاف من الأكراد وأربعة آلاف ممن كان معه، وبالتالي يصبح عددهم حوالي أربعة عشر ألف مقاتل ويشاركه في الرأي الدواداري[57]، أما ابن الجوزي (597هـ/ 1200) وابن كثير فيجعلان العدد حوالي عشرين ألفاً[58] ويذهب اليزدي (581هـ/ 1185م) إلى أن عددهم يزيد عن اثني عشر ألف مقاتل[59].

وأما ابن القلانسي فيذكر رواية مغايرة لما سبق فإنه يجعل عد جيش المسلمين أربعمائة ألف مقاتل من الأتراك وجميع الطوائف[60]، وهذا رقم مبالغ فيه ويعارض فيه جميع المصادر الأولية، هذا فضلاً عن أن سبط ابن الجوزي الذي ينقل عن ابن القلانسي يذكر الرقم ولكن لا يأخذ فيه، وإنما يرجح الرقم الذي ذكره وهو أربعة عشر ألف مقاتل[61].

مما سبق تتضح لنا الصورة الآتية عن الجيش السلجوقي:

أولاً : لم يكن مستعداً لخوض معركة فاصلة مثل معركة ملازكرد لأنه كان عائداً من إحدى حملاته العسكرية، وقد استنفذت جميع قواه؛ وهذا ما أوحى به السلطان آلب أرسلان للإمبراطور البيزنطي ليوهمه بعدم مقدرته خوض المعركة، لبينما يستوفي جميع استعداداته العسكرية.

ثانياً : قلة عدد القوات المتبقية تحت قيادة السلطان آلب أرسلان وتجهيزاتها العسكرية. إذا ما استبعدت رواية ابن القلانسي والأخذ بباقي الروايات الأخرى، وبخاصة أنه أرسل زوجته ووزيره لتزويده بقوات أخرى.

ثالثاً : تصميم السلطان آلب أرسلان على خوض المعركة على الرغم من قلة عدد قواته، واستنفاذ قواها.

رابعاً: العزيمة عند السلطان آلب أرسلان وقواته التي لا بد أنها نابعة من إيمانه القاطع وإيمان قواته بنصرة الإسلام ورفع كلمة الحق.

الإجراءات والمراسلات التي اتخذها السلطان والإمبراطور قبيل بدء المعركة:

حاول السلطان آلب أرسلان بعد تحققه من ضخامة الجيش البيزنطي تجنب وقوع هذه الحرب، بعدم استعداده لها كما تبين، ولمشاهدته الفرق الشاسع بين قواته والقوات البيزنطية، ولذلك أرسل رسله لعقد هدنة مع الإمبراطور رومانوس[62] لم تحدد المصادر فحواها، إلا

أنه من الممكن الاستنتاج من خلال ما ذكرته بعض المصادر والمراجع الحديثة[63] أنه تم عرض ما يلي:

أولاً : وضع الحرب وعودة كلا الطرفين إلى بلادهما.

ثانياً: يتعهد السلطان آلب أرسلان بالجلاء عن بعض المناطق التي سبق أن احتلها، لا سيما في الأراضي التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية.

ثالثاً: ويضيف الأصفهاني أن الهدف من إرسال آلب أرسلان الرسل كان بمثابة مهمة استخبارية، حيث يذكر: "ومقصوده أن يكشف سرّهم ويتعرف أمرهم"[64].

ويبدو أن الإمبراطور رومانوس عندما تلقى خبر رغبة آلب أرسلان بعقد هدنة، انفرجت أساريره وأيقن أن السلاجقة فقدوا كل أمل في النصر، وأن هذا العرض يعني شيئاً واحداً فقط وهو إحساس السلاجقة بالضعف والوهن، الأمر الذي عزز آمال الإمبراطور في القضاء على الجيش السلجوقي وإبادته، ولذلك أرسل للسلطان ألب أرسلان، قائلاً: "كلا ليس لكم عندي إلا السيف"[65] و"لا صلح إلا بالري"[66][67].

كما ويبدو أن السلطان آلب أرسلان طلب هذه الهدنة رغبة منه كخدعة لاستكشاف أحوال الجيش البيزنطي، والاتصال بالعناصر الغُزّية غير المسلمة المرافقة للجيش البيزنطي في الباطن، كما وأنه كان بحاجة للوقت لنصب العديد من الكمائن وتهيئتها لوقت الحاجة والمفاجأة[68].

والحقيقة أن جميع المصادر تؤكد أن ألب أرسلان عرض الهدنة ولكن ليس بالصورة التي تقلل من شأنه، وبخاصة أن الهدنة قد تحقق أهداف الإمبراطور.

وبما أن السلطان ألب أرسلان كان أكبر وأقوى قائد في المنطقة فإنه ليس من السهل أن يتنازل عن حقوق الدولة العباسية في المنطقة لأن أي تنازل قد يؤثر على شرعيته المستمدة من الجهاد وحماية الدولة، ويقلل من سمعته وهيبته عند أعدائه ومنافسيه. وربما كان هدفه من الهدنة اكتساب الوقت لإعادة تنظيم صفوف قواته، وتجميعها، وبخاصة أنه أرسل وزيره وزوجه وابنه إلى همذان لتزويده بالقوات[69].

إن رد الإمبراطور رومانوس ورفضه قبول الصلح[70] إلا في الري عاصمة السلاجقة دليل قاطع على عجرفته وغروره، وهذا ما أكده المؤرخ السرياني ميخائيل السوري[71]، كما أن إهماله في إرسال فرق استكشافية للخطوط الأمامية كان سبباً في دفع الثمن باهظاً بسبب نقص خدماتهم الاستخبارية[72].

وجائز أن الإمبراطور محقّ في إصراره على استكمال حملته، وقد أنفق أموالاً طائلة عليها، فرجوعه يعني هزيمة نكراء تحل بالإمبراطورية البيزنطية وجيوشها، هذا فضلاً عن أنه ما حشد تلك الحشود العسكرية إلاّ للانتقام واسترداد أراضي بيزنطة، والقضاء على تلك القوة (السلجوقية) التي عاثت فساداً في بلاده حسب رأيهِ، ولذلك أصر على "حرق الأتراك (السلاجقة) في النار إذا ما تغلب عليهم"[73]، ونجد سبط ابن الجوزي يعبر على لسان الإمبراطور قائلاً: "لا أرجع حتى أفعل ببلاد الإسلام مثل ما فعل ببلاد الروم، وقد أنفقت الأموال العظيمة فيكف أرجع"[74].

يبدو أن السلطان ألب أرسلان انزعج من هذا الرد، وبدا عليه الغضب، فلاحظ إمامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي ذلك الانزعاج، فشد من عزائمه ورغبه في خوض المعركة بقوله"إنك تقاتل عن دين الله وأنا أرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح"[75]، واقترح عليه أن يكون يوم الجمعة موعداً لخوض المعركة قائلاً له: "فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر يدعون للمجاهدين بالنصر على الكافرين، والدعاء مقرون بالإجابة"[76].

كان هذا اللقاء بين السلطان والفقيه يوم الأربعاء، فاتخذ السلطان بمضمون نصيحة الفقيه نصاً وحرفاً، فأخر اللقاء إلى يوم الجمعة، وقرأ[77] قوله تعالى: **[وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ]**[78]، وأضاف قائلاً: "ربما يكون في الخطباء من إذا قال في آخر خطبته اللّهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم، حقق الله ببركات دعائه مقاصد الغزاة ومبتغاهم"[79].

وأرسل السلطان إلى الخليفة يطالبه أن يدعو له على منابر بغداد، ويتضرع إلى الله ليمنحه نصره، فأعد الخليفة دعاءً خاصاً، قُرئ على منابر بغداد، يوم الجمعة، وقت حدوث

المعركة، وتضمن الدعاء الإشادة بمناقب السلطان وأعماله في سبيل الدين، كما تضمن أيضاً التضرع إلى الله لينصر السلطان لأن نصَره نصرٌ للدين[80].

وعندما أيقن السلطان بقرب موعد اللقاء أرسل إلى زوجه ووزيره نظام الملك، وقال: "إني صائر بهذا القدر الذي معي إلى العدوّ، فإن سلمت فنعمة من الله تعالى، وإن استشهدت فرحمة من الله تعالى، فخليفتي ابني ملكشاه"[81]. ويعد هذا بمثابة وصية أقر بها السلطان لوزيره نظام الملك ليعمل على تنفيذها، بتعيين ابنه ملكشاه سلطاناً من بعده.

وبعد أن انتهى من أمر السلطنة، توجه إلى جنده، والتقى بهم مخاطباً إياهم، قائلاً: "من أراد الانصراف فلينصرف فما ههنا السلطان يأمر وينهى غير الله"[82]. وأضاف، قائلاً: "إنما أنا واحد منكم وقد فتحنا على المسلمين ما كانوا عنه في غناء " فأجابوه قائلين: "نحن عبيدك ومهما فعلت تبعناك"[83].

وبينما كان السلطان منشغلاً في أمور ترتيب دولته، ومخاطبة الخليفة، وبعث الحمية في صفوف جنده، كان الإمبراطور رومانوس قد أحاط نفسه بهالة من الأبهة والعظمة، حيث كان قد ضرب فسطاطاً من الأطلس الأحمر وأخرى مثلها، وجلس على سرير من الذهب وفوقه صليب من الذهب مرصع بالجواهر وفي مجلسه كثير من الرهبان والقسيسين[84]، معتمداً في ذلك على غروره بكثرة قواته ومعداته التي كانت تفوق قوة المسلمين، ولهذا كان واثقاً من النصر عليهم. وما يدل على ذلك رسائل أمين الدولة التي صورت غطرسة الإمبراطور، وإدلاله بعظم جيشه، واغتراره بكثرة جنده، حيث "أدلوا بالإسراع إلى القرع، واستدلوا على القوة بطول الباع ووفر الأتباع"[85].

وقبل خوض المعركة بيوم واحد – يوم الخميس– أرسل برسالة ترغيب وترهيب إلى السلطان ألب أرسلان يذكر فيها: "إني أتيتك ومعي من العسكر ما لا قبل لك به، فإن أنت دخلت في طاعتي فأنا أدفع لك من البلاد ما يكفيك، وتأمن سطوتي وبأسي، وإن أنت لم تفعل ذلك فإن معي من العساكر ثلثمائة ألف فارس وراجل ومعي أربع عشرة ألف عجلة عليها خزائن الأموال والسلاح، وليس يقف بين يدي أحد من عساكر المسلمين، ولا يغلق بوجهي مدينة من مدائنهم، ولا قلعة من قلاعهم"[86].

وعندما علم السلطان بهذه الرسالة أخذته عزة الإسلام وتحركت في صدره نخوة الملك والسلطان، فقال للرسول الذي بلغه الرسالة: "قل لصاحبك إنّك أنت ما قصدتني ولكن الله I حملك إليّ وجعلك وعساكرك طعمة للمسلمين، فأنت أسيري، وعبدي وعساكرك بعضهم قتلاي وبعضهم أسراي، وخزائنك كلها ملكي، فأثبت للمقارعة وتهيأ للمكافحة، فسوف ترى أنّ عساكرك هي رقاب تساق إلى ضاربها وخزائنك هي أموال تحمل إلى ناهبها"(87).

أحداث معركة ملازكرد:

يلاحظ مما سبق عبارات التحدي بين السلطان والإمبراطور، وتشير إلى أن الحرب واقعة لا محالة، ففي صبيحة يوم الجمعة (7 ذي القعدة 463هـ/5 آب 1071م)(88) التقى الجيشان، وهو اليوم الذي حدده الإمام والفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك الحنفي للسلطان آلب أرسلان والذي تتفق عليه أغلب المصادر المتوافرة لدينا، مع أنها تختلف بتحديد تاريخ هذا اليوم، فإذا أخذ بالتاريخ الذي يذكره ابن الجوزي ومن يوافقه من المصادر وهو(27 ذي القعدة)، فإن هذا التاريخ يصادف يوم الخميس، وهذا لا يتوافق مع اليوم الذي حدده الإمام والفقيه أبو نصر ليكون يوم المعركة، وهو يوم الجمعة، والذي أجمعت عليه جميع المصادر ومن بينهم ابن الجوزي ومن أيده في رأيه، ولذلك فان التاريخ الذي يصادف يوم الجمعة هو (7 ذي القعدة)، وهذا ما ذهب إليه ابن العديم.

فتوكل السلطان على الله بعزيمة قوية ورؤية صارمة(89) وتقدم –كما يصفه المؤرخ اللاتيني وليم الصوري– "لم يعترض سبيله أيّ كان دفاعا عن سلامته وذاته ... والحرية قبل كل شيء"(90)، ووقف أمام قواته سائلاً: "أنا صابر صبر المحتسبين وصائر في هذه الغزاة مصير المخاطرين، فإن نصرني الله فذاك ظني في الله تعالى، وإن تكن الأخرى فأنا أعهد عليكم أن تسلموا لولدي ملكشاه، وتطيعوه وتقيموه مقامي، فقالوا: سمعاً وطاعة"(91).

وكان السلطان ألب أرسلان قد وضع خطة عسكرية قسم على أساسها الجيش إلى أربع فرق كل فرقة أقامها في منطقة وأكد عليها أن تلتزم به ولا تبرحه، وعدَّ كل فرقة من الأربع بمثابة كمين في منطقته المحددة له، معتمداً على سرعة تحركهم، وبخاصة أن معظمهم من الفرسان الخفاف التجهيزات. وطلب من قادة إحدى الفرق التراجع مع فرقته في

حال التحام الجيشين، موهمة الجيش البيزنطي بانسحابها من المعركة، الأمر الذي يدفع الحمية في الجيش البيزنطي فيندفع قسم منه وراءها للقضاء عليها، فتأخذه الفرق الأخرى الكامنة في موقع الرهوة من الخلف والأمام[92].

سار السلطان ألب أرسلان قاصداً الجيش البيزنطي، وأرسل في مقدمة جيشه أحد الحجاب مع مجموعة من الغلمان لاستطلاع الأخبار، فصادفوا عند مدينة خلاط مجموعة من الجيش البيزنطي يبلغ تعدادها حوالي عشرة آلاف مقاتل يرأسهم بازيلكوس الروسي فالتحمت المجموعتان، وكان النصر للمسلمين وتم أسر القائد الروسي وبعث به إلى السلطان ألب أرسلان فاستبشر خيراً وقال: "هذا أمارة النصر"، وأرسل بالقائد إلى همذان، وجدع أنفه ثم أمر أن يحمل إلى الخليفة العباسي في بغداد[93].

هذه الهزيمة التي منيت بها الفرقة البيزنطية رفعت من معنويات الجيش السلجوقي وألهبت مشاعر الإمبراطور رومانوس، فقام برد سريع حيث هاجم ولاية خلاط يوم الثلاثاء، ثم توجه إلى مدينة ملازكرد فارضاً الحصار عليها، وسرعان ما لبثت أن سقطت في يده، وأسر العديد من المسلمين وبخاصة الحامية المدنية[94] فانزعج سكانها وتزعزعت أركانها[95].

ووقع يوم الأربعاء مناوشات بين طلائع الجيشين في المنطقة الواقعة بين ملازكرد وخلاط ولم يترتب عنها نتائج حاسمة، غير أن طلائع الجيش الإسلامي نجحت في وقف الهجوم البيزنطي، وإعادته إلى معسكره، وتخليص جزء كبير من حامية ملازكرد، الأمر الذي رفع من معنويات الجيش الإسلامي وزاد معدات قواته[96].

وأما بالنسبة للسلطان آلب أرسلان فقد أرسل للإمبراطور رومانوس يوم الخميس يعرض عليه الصلح الذي تدخل فيه الخليفة من قبل ويتضمن رجوع كلا الطرفين إلى بلادهم، غير أن رد الإمبراطور المتغطرس والمغرور الرفض وأصر على تدمير أراضي المسلمين[97].

هذه الأحداث تشير إلى أن السلطان كان حتى آخر لحظة قبل وقوع الاصطدام الفاصل بين الجيشين يرغب في عدم خوضه هذه المعركة، ويعبر عن رغبته في اللجوء إلى الصلح ويفضله حتى يتجنب دخول معركة نسبة النجاح بها ضئيلة إذا ما قورن بين عدد القوات الإسلامية وعدتها بعدد القوات البيزنطية وعدتها.

والواضح أن حالة الجيش البيزنطي آلت إلى الضعف والانهيار وقلة في عدده قبيل بدء المعركة الفاصلة، إذ يبدو أن الإمبراطور قد ترك بعض مقاتليه كحاميات في المناطق التي سيطر عليها وعددها مائة ألف، مثل ملازكرد، وحيّد أصحاب المنجنيق عن التدخل في المعركة الفاصلة، هذا فضلاً عن أن جزءً من الجيش البيزنطي قد شُتت شمله في هزيمة خلاّط، وجزءً آخر أرسل لمحاصرة خلاط بعد فشل المحاولة الأولى[98].

ويوعز المؤرخ السرياني ميخائيل سبب انهيار الجيش البيزنطي إلى تمرد القوات الأرمنية المشاركة بسبب سوء معاملة الروم لهم في القضايا الدينية ،هذا بالإضافة إلى خلاف زعماء الروم مع إمبراطورهم وهروبهم من ساحة المعركة[99].

ومع كل ما تؤكده المصادر الأولية من أسباب انهيار الجيش البيزنطي إلا أن المؤرخ اللاتيني وليم الصوري يوعز انهيار الجيش البيزنطي إلى أسباب دينية، بقوله: "إن قواته– يقصد الإمبراطور – كانت تفتقر إلى التأييد الرباني"[100].

هذا والحال أصبح الجيش البيزنطي قليل العدد ثقيل العدة، فضلاً عن الهزائم التي مني بها مما أضعف عزيمة أفراده. أما بالنسبة إلى الجيش الإسلامي فقد كان قليل العدد من الأصل، يضاف إليه الحاميات المحلية التي امتازت بكفاءةٍ عالية التدريب، يمثلون الجند النخبة، ولذلك كان الجيش خفيف الحركة مما جعلهم قوة ضاربة في المعركة الفاصلة، هذا فضلاً عن معنوياتهم العالية جرّاء الانتصارات التي حققوها في الأيام الخوالي.

وقبل التحام الجيشين بلحظات، قام السلطان آلب أرسلان، ورمى القوس والنشاب وأخذ بيده السيف والدبوس، وعقد ذنب فرسه بيده[101]، ولعل عمله هذا لبعث الحمية والعزة في نفوس قواته وتعبيراً ضمنياً لإشعار قواته بأن القتال في مثل هذه المعارك لا ينفع إلاّ بالمواجهة ويعتمد فيها الجند على شجاعته وإيمانه وقدرته على الإقدام وخوض عباب المعركة ولذلك نجده يحمل السيف بيده ويترك السلاح الذي يستخدم عن بعد. ولهذا تذكر المصادر أن قواته نهجت النهج نفسه الذي سلكه[102].

وتضيف بعض المصادر الأولية أنه " لبس البياض، وتحنط وقال: إن قتلت هذا كفني"[103]، ونزل عن فرسه وسجد لله Y ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره[104]. ثم

ركب فرسه بعد الظهر مباشرة وحمل على الجيش البيزنطي وحملت معه العساكر مستغلاً وقت صلاة الجمعة والخطباء على منابر الإسلام يدعون الله بنصرة الإسلام[105].

لم يكن يتوقع البيزنطيون هذا الهجوم فيما يبدو، إذ استطاعت الفرق الأربعة الإسلامية استدراج الجيش البيزنطي إلى العمق لمطاردتها متجاوزة لمكان الكمين (الرهوة)، ثم ما لبثت الفرق أن استدارت واشتبكت مع البيزنطيين من الأمام في الوقت الذي خرجت فيه قوات الكمين من الخلف لتبث الذعر الشديد في صفوف القوات البيزنطية، مما مزّق وحدة صفوفهم[106]، وتوغل المسلمون وسط صفوفهم، فحجز الغبار بينهم، وقتل المسلمون منهم كيفما شاءوا، وأنزل الله نصره على المسلمين، وانهزم الجيش البيزنطي، وقتل منهم مالا يحصى[107] وحتى "امتلأت الأرض بجثث القتلى"[108].

وتذكر المصادر أن السلطان آلب أرسلان وعساكره طاردوا فلول الجيش البيزنطي بقية نهار يوم الجمعة وليلة السبت يقتلون ويأسرون، فلم ينج منهم إلاّ القليل، وغنموا جميع ما كان معهم[109]، "وانجلت عند اصفرار الشمس غبرة المعركة وأحاطت بملك الروم يد الأسر والهلكة"[110].

ويصور لنا الأصفهاني حالة الجيش البيزنطي بقوله"ووقعت نار البيض في حلفاء هامها، فأذنت بانهزامها، وانكسرت كسرة لا تقبل جبراً، فطائفة لم تثبت للقتال ولم تصبر، وطائفة ثبتت وقُتلت صبراً، فما نجت من أولئك الألوف آحاد، وما سلمت من أعداء الإسلام أعداد"[111].

وأثبتت رسائل أمين الدولة حقيقة انهيار الجيش البيزنطي أمام قوات السلطان آلب أرسلان "فلم تكن إلا حملة هبت للإسلام ريح الظفر، ونشبت به نيران الاصطدام متطايرة الشرر، وظهر من التأييد السمائي ما علا فيه الإيمان على الكفر"[112]، ويؤكد هذا القول وصف ابن الجوزي للمعركة حيث قال: "واقتتلوا ساعة أجلت فيها عن هزيمة الكفار، فقتلوا يومهم وليلتهم القتال الذريع ونهبوا وسبوا النهب والسبي العظيم"[113].

وقد ظهرت خطورة المعركة من خشية أمير المؤمنين على الإسلام، إذْ كان فكره مشتتاً، ينتظر المصير الذي ستأوول إليه المعركة، إلى أن جاءه البشير يخبره بالنصر المبين، مما أزال عن فكره الشك، وجلاء المضمون[114].

نتائج معركة ملازكرد:

أبرز النتائج التي ترتبت على انتصار المسلمين في هذه المعركة، ما تصوره لنا رسائل أمين الدولة عن المصير الذي آل إليه الجيش البيزنطي بصورة بلاغية رائعة، قائلا: "فتحكمت الصوارم في الجماجم، وأزالتها عن الأماكن، وأعادتهم من حكم المتحرك إلى الساكن، فحينئذ عجل الله إلى النار تلك الأرواح، وراح التوحيد وقد خلص عن غوائل الشرك وأراح، وألقيت تلك الأشلاء جزراً للطير والسباع. . . وحصل في الأسر العدد الجمّ من أعيان الضلة مثقلين بالأغلال، ومنقلين بين صنوف الإهانة والإذلال ... ودخل في الإسلام من رام السلامة فنالها، ومال إليها حيث عرف مآلها، وهرب على وجهه من ستخطفه الأيدي من جميع المسالك، ويحمله الرعب على إلقاء نفسه في المهالك"[115].

ويستنبط من هذا النص، المصير السيء الذي آل إليه الجيش البيزنطي الضخم والخسائر المادية التي منيت بها الإمبراطورية البيزنطية، ومدى انعكاس هذا الوضع على أمن الإمبراطورية البيزنطية واستقرارها بفقدانها الأعداد الضخمة من جيشها.

وأما المصير الذي آل إليه الإمبراطور رومانوس يُعد من أبرز نتائج هذه المعركة، وتقدم لنا المصادر الأولية صورة دقيقة عن هذا المصير، فتشير إلى أن الإمبراطور وقع أسيراً في يد أحد غلمان السلطان، فشد الغلام يديه وجره إلى مقر السلطان[116].

أدخل الأسير لمقر السلطان مقيدا بالسلاسل، فضربه السلطان ثلاث مقارع[117]، ووبخه وعاتبه في أمور ارتكب حماقة لعدم تنفيذها، كان أولها، رفض إمضاء الهدنة التي توسط بها الخليفة القائم بأمر الله للرجوع عن غزو البلاد الإسلامية. وثانيها، مطالبة السلطان ببعض الخارجين عليه الذين لجؤوا إلى الإمبراطور، ورفض الأخير تسليمهم للسلطان. وثالثها، الغدر والخيانة التي ارتكبها الإمبراطور بعد عقد الهدن، وحلف الأيمان. وآخرها عدم سماع الإمبراطور للسلطان قبل بدء المعركة عندما طلب منه العدول عما يجول في ذهنه من غزو بلاد الإسلام[118].

وتتابع المصادر الأولية حوار روائي[119] بين السلطان وأسيره الإمبراطور في المصير الذي سيؤول إليه الإمبراطور، وينتهي هذا الحوار بصورة العفو والتسامح التي تمتع

بها السلطان والتي استمدها من الدين الإسلامي السمح، وقد تمثلت بعقد اتفاقية بين الطرفين ضمن الشروط الآتية:

أولاً : العفو عن الإمبراطور رومانوس وإطلاق سراحه من الأسر [120].

ثانياً : يفدي الإمبراطور رومانوس نفسه بمبلغٍ من المال، اختلفت المصادر الأولية في تحديد قيمته[121].

ثالثاً : دفع الإمبراطور رومانوس الجزية المقررة على بلاده سنوياً وقدرها ثلاثمائة وستون ألف دينار [122].

رابعاً: يتكفل الإمبراطور بإرسال عساكر الإمبراطورية البيزنطية متى اقتضت حاجة السلطان إليها[123].

خامساً: إطلاق سراح جميع أسرى المسلمين الذين في حوزة الإمبراطورية البيزنطية[124].

سادساً: إقرار الإمبراطور بنيابته عن السلطان في بيزنطة، وأنه بمثابة خادم له[125].

سابعاً : إعادة إنطاكية والرها ومنبج وملازكرد التي أخذت من المسلمين قريباً، وأن لا يتعرض الإمبراطور لبلاد المسلمين بعد هذه الساعة[126].

ثامناً: ويشترط أن تكون أمد الهدنة خمسين عاماً[127].

وبعد الانتهاء من إقرار الإمبراطور رومانوس بشروط المعاهدة المذكورة، أمر السلطان بإكرامه والرفع من مكانته، وجهزه بمستلزمات عودته كإمبراطور لبلاده، وأرسل برفقته حاجبين ومائة غلام مهمتهما حراسته وتأمين وصوله إلى عاصمته القسطنطينية، كما شيعه السلطان قرابة الفرسخ[128]، ثم عانقه مستودعاً إياه[129] لتنتهي بذلك صفحة حياة أول إمبراطور بيزنطي أسير في أيدي المسلمين[130]، اعتمد في إطلاق سراحه على التسامح والصفح والعفو عند المقدرة التي أقرها الدين الإسلامي.

وكان لانتصار السلطان ألب أرسلان في معركة ملازكرد أثر واضح في نفوس المسلمين فقرأت كتب البشائر بالنصر على الملأ، وزينت المدن وبخاصة بغداد بزينة لم ير

مثلها من قبل[131]، وبعثت نشوة النصر في نفوس المسلمين، وتغنى الشعراء في النصر وبالسلطان وأسرفوا في مدحه[132].

وقد انعكس صدى أهمية معركة ملازكرد في التاريخ الإسلامي فهي" التي ضم الله تعالى شمل الإسلام بما منَّ به فيها وجاد، وظل ذكر جلالها متداولاً بين كل من قصد الإتمام والأنجاد"[133]، وقد وصف ابن الجوزي هذا النصر بقوله: "وهذا الفتح في الإسلام كان عجباً لا نظير له"[134].

وقد عظمت مكانة السلطان ألب أرسلان بعد انتصاره في هذه المعركة عند الخليفة العباسي القائم بأمر الله، إذْ بعث إليه كتاباً يهنئه بالفتح والظفر، ويخاطبه بالولد السيد الأجل المؤيد المنصور المظفر السلطان الأعظم ملك العرب والعجم[135]، واستغل السلطان هذا النصر، فطلب من الخليفة تعيين ولده ملكشاه، ولياً للعهد من بعده[136].

وكانت الخسارة التي منيت بها الإمبراطورية البيزنطية عسكرياً ومادياً تفوق التصور، وقد انعكست على المسلمين بكسب الغنائم، ووقع عدد لا يحصى من الجند قتلى في أرض المعركة حتى امتلأت الأرض بجثثهم[137]، "وامتلأت الأيدي من سوادهم وأموالهم وآلاتهم وكراعهم"[138].

أما أثر معركة ملازكرد على صعيد نظام الحكم في الإمبراطورية البيزنطية، فقد اغتصب عرش الإمبراطورية من قبل ميخائيل السابع (1071- 1072م)، وأعلن نفسه إمبراطورا؛ مدعيا أن الإمبراطور الأسير قد فرط بحقوق بلاده، وتعرض إلى إهانات جسدية فلم يعد جديرا بتولي السلطة والتمتع بمقام الإمبراطور الرفيع، وذلك لصبغ عمله بالصفة الشرعية، الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب أهلية حول منصب عرش الإمبراطور [139].

ومهما يكن الأمر فإن عدم تمكن الإمبراطور رومانوس من الرجوع إلى الحكم، سينعكس بالطبع على شروط المعاهدة المبرمة مع السلطان آلب أرسلان، لأن الإمبراطور الجديد لم يرتبط بها بأية مواثيق. والحقيقة إن المصادر المتوافرة لا تسعف بأية إشارات تبين مصير شروط المعاهدة، باستثناء ما قام به رومانوس عند وصوله إلى القسطنطينية بجمع ما لديه من أموال، وتقدر ما بين مائة ألف إلى مائتي ألف دينار، وأرسلها للسلطان آلب أرسلان[140].

وهناك رواية ضعيفة عند الدواداري[141] تشير إلى أن الإمبراطور "وصل إلى بلاده سالما وأوفى بجميع ما أوعد به، وزاد في هداياه أضعاف ما كان في الظن، واستقر حال المسلمين معه طوال أيام حياته"، ولكن هذه الرواية تتناقض مع جميع المصادر الأخرى التي تشير إلى أن الإمبراطور اغتصب عرشه، ولم يعد إليه ألبتة، فكيف له أن ينفذ شروط المعاهدة؟ لعل الدواداري اعتمد على الإشارات التي تشير إلى أن الإمبراطور المخلوع عندما عاد إلى القسطنطينية جمع مالديه من أموال وارسلها للسلطان آلب ارسلان ، ولذلك أشار إلى أن الإمبراطور المخلوع أوفى بجميع ما وعد به.

ويشير ابن الأثير إلى أن الإمبراطور رومانوس عندما علم بما حدث في عرشه أرسل للإمبراطور الجديد ميخائيل يعلمه بما استقر الأمر مع السلطان، وحثه قائلاً: "إن شئت أن تفعل ما استقرّ، وإن شئت أمسكت"، فأجابه ميخائيل بإيثار ما تم الاتفاق عليه، وسأله التوسط عند السلطان، لإقرار ما جاء في بنود المعاهدة[142].

والحقيقة أن رواية ابن الأثير تؤكد إقرار بعض بنود المعاهدة الخاصة فقط بالإمبراطور المخلوع، بدليل أن الإمبراطور الجديد طلب توسطه مع السلطان دون أن يحدد ابن الأثير نوع الوساطة، والأغلب أنه طلب إعادة صياغة بنود المعاهدة ليحقق مصلحة الإمبراطور الجديد والإمبراطورية، وهذا ما أكده الإمبراطور المخلوع للإمبراطور الجديد، قائلاً: "إن تُقّرر الصلح مع السلطان، وإلا فلن ترتاح ولن يرتاح المسيحيون"[143].

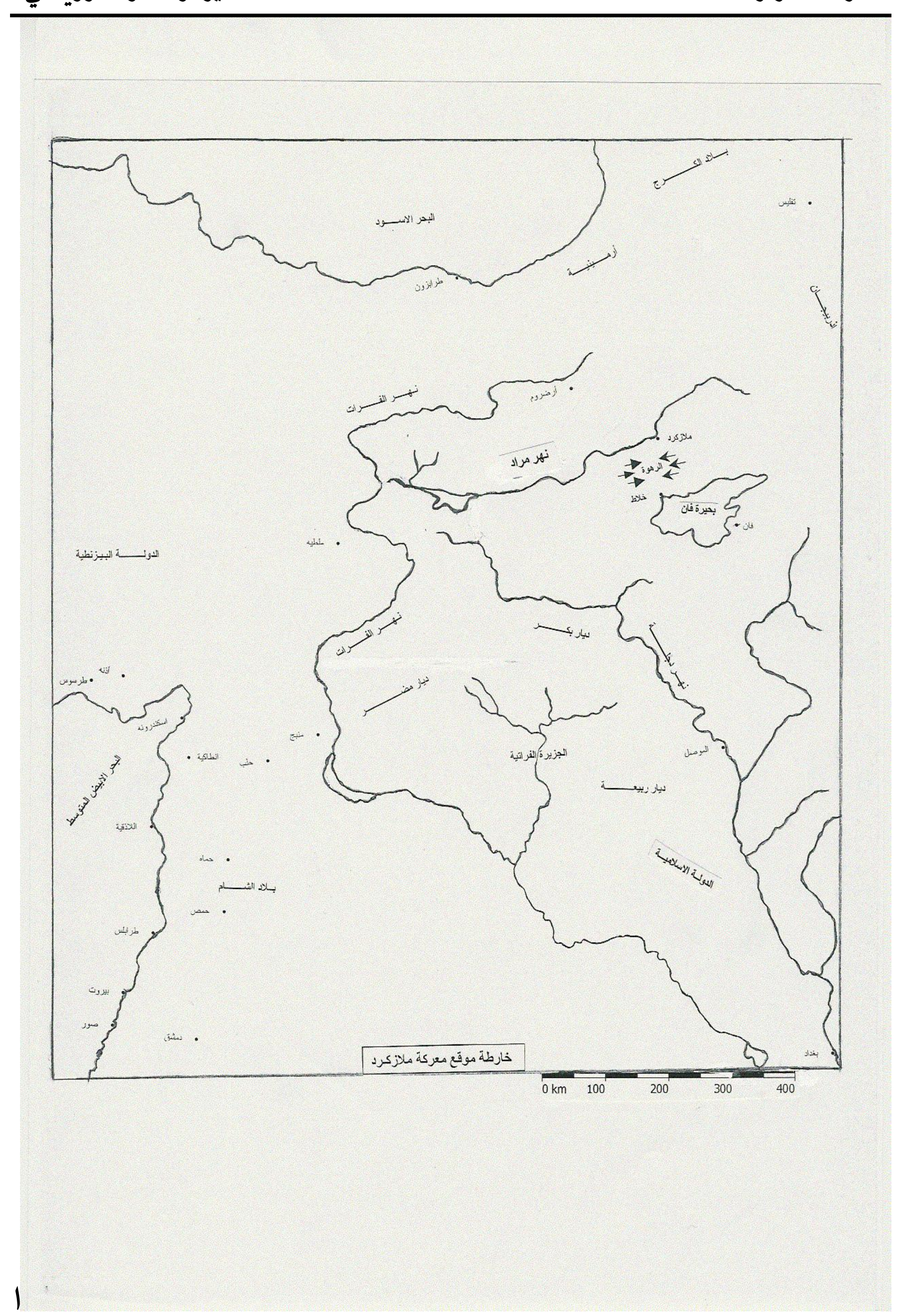
ومهما يكن الأمر فقد اعتبرت معركة ملازكرد بمثابة كارثة حلت بالإمبراطورية البيزنطية، ولم يعد البيزنطيون ينعتونها عند حديثهم عنها، إلاّ بـ"اليوم الرهيب"[144]، فقد تقلصت أملاكها في أرمينية وآسيا الصغرى، ولم يعد لها إلا بعض المدن المعزولة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ولم تعد الإمبراطورية قادرة على إعادة أملاكها أو بسط نفوذها على ما فقدته، وبخاصة بعد أن وجه السلطان آلب أرسلان ابن عمه سليمان بن قتلمش[145] للاستيلاء على سهول وسط آسيا الصغرى التي كانت تشكل المصدر الرعوي للأغنام البيزنطية، مما أدى إلى انسياح الأتراك السلاجقة بحرية في آسيا الصغرى وبلاد

الشام والجزيرة الفراتية، وفتحت الطريق أمام سلاجقة الروم بالتوجه نحو الغرب والتوغل في أراضي الإمبراطورية البيزنطية وطرق أبواب عاصمتها[146].

كما كان لسلاجقة الروم أثر واضح في نشر الإسلام في المناطق السابقة، والتغيير في أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية، وهذا ما يؤكد أن شروط المعاهدة خلعت بمجرد خلع الإمبراطور المخلوع، ولم يتم التعامل في بنودها إطلاقا، وبخاصة أن الفوضى والحروب الأهلية انتشرت داخل الإمبراطورية البيزنطية، وتدهورت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، إذ تمرد كثير من رعاياها الأرمن وعملوا على إنشاء إمارات مستقلة لهم في المنطقة[147].

وأصبح السلاجقة يشكلون دولة مهيبة الجانب على الأقل بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية التي أصبحت منهكة القوى بعد معركة ملازكرد، كما أتاحت فرصة للسلاجقة بقيادة آلب أرسلان التوجه بفتوحاتهم للشرق، لكبح جماح شاه خورزم الذي تزايدت قواه آنذاك، وإن كان هذا التحول نهاية حياة السلطان آلب أرسلان[148].

وقد عدت معركة ملازكرد نقطة تحول في التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ غرب آسيا بصفة خاصة، إذْ استطاع سلاجقة الروم إزالة الروم وعزلهم كعدو صارعهم منذ خروج العرب من الجزيرة العربية. ولكن فتح المجال أمام القوى الأوروبية المسيحية القادمة من الغرب بناءً على دعوة من القسطنطينية التي استنجدت بالكنيسة الغربية ممثلة في البابا الذي ألهب مشاعر الغرب لمساعدة الكنيسة الشرقية[149]، ورد اعتبار الإمبراطورية البيزنطية، الأمر الذي أدى إلى دخول منطقة آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر في صراع سياسي عرف بـ"**الحروب الصليبية**" استمر قرابة قرنين من الزمن، عاشت المنطقة في ظل هذه الحروب حالة من الفوضى والاضطراب في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية إضافة إلى التمزق في الوحدة السياسية للنظام السياسي الذي ساد المنطقة.



خارطة موقع معركة ملازكرد

الهوامش:

(1) عصام مصطفى، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، رسالة كتوراة، الجامعة الأردنية، 1997م، ص100.

(2) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1979م، ج9، ص556- 557. هذه المعاهدة كانت إثر غزو ابراهيم ينال بلاد الروم وأسر ملك الأبخاز عام 440هـ. ابن الأثير، **الكامل**، ج9، ص547.

(3) ابن الأثير، **الكامل**، ج9، ص557. ابن ميسر (677هـ/1278م)، **المنتقى من أخبار مصر**، تحقيق: محمد ايمن، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1981م، ص14. ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الملطي، **تاريخ مختصر الزمان**، تصحيح الأب أنطون اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1983م، ص97- 98. وعن غزوات الأتراك لأراضي الإمبراطورية البيزنطية، انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج9، ص46- 599.

(4) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص98. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج9، ص599.

(5) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فزاوغلي (654هـ/1256م)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حوادث سنة (1056-1086)**، عني بنشره علي سويلم، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، أنقره، 1968م، ص19.

(6) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056- 1086)**، ص122.

(7) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (597هـ/1200م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج8، ص261.

(8) انظر: ابن الأثير، **الكامل**، غزوات الأتراك السلاجقة لأراضي أرمينية، ج9، ص546، 598-599، ج10، ص40- 41. رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ط1، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1967م، ج1، ص94- 95.

Rice,T. ,The Seljuks in Asia Minor, Thames and Hudson, London,1961, p.36.

(9) Michel le syrien, in R. H. C-D. Arm. vol. 1,p.333. Rice, The seljuks in Asia,p.37. Vasiliv, A.A.,History of the Byzantine Empire, 2 vols. ,The University of wisconsin press, London, 1935, vol, 2, p.383-384. Grousset, R. Histoire de' L'Armeine des origins a' 1071, paris,1947,p.531.

(10) انظر: ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (660هـ/1262م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ط1، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1922م، ج4، ص1972. تاليوت

رايس، **السلاجقة تاريخهم وحضارتهم**، ترجمة: لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي، مطبعة الارشاد، بغداد، 1968م، ص35– 36. سهيل زكار، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ط3، دار الفكر، 1975م، ص145. أحمد الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، ط1، دار الفكر العربي، ص595.

(11) ابن الأثير، ج10، ص64. انظر: سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص142– 147. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1977، 1978. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (660هـ/1262م)، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تحقيق: سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1954م، ج2، ص19.

(12) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1974، 1977، 1978. ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج2، ص19. المقريزي، أحمد بن علي (845هـ/1441م)، **أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق: محمد حلمي محمد، مطبعة الأهرام القاهرة، 1993م، ج2، ص302. ابن ميسر، **المنتقى من أخبار مصر**، ص35– 36.

Rice, the Seljuks in Asia,p.37-38.

(13) انظر: سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص142. ابن العبري، جمال الدين، **تاريخ الزمان**، ترجمة: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص109.

Rice, the Seljuks in Asia,p.36.

(14) تاليوت، **السلاجقة**، ص35– 36. أحمد الشريف، **العالم الإسلامي**، ص595. رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1997م، ج1، ص97.

Rice, the Seljuks in Asia,p.37.

(15) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110.

(16) اليزدي، محمد بن أحمد (743هـ/1342م)، **العراضة في الحكاية السلجوقية**، ترجمة وتحقيق: عبد المنعم محمد، جامعة بغداد، بغداد، 1979م، ص47. ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص65. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1984م، ج5، ص202. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1973. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (555هـ/1160م)، **تاريخ ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق**، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص99. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، 1983م، ص322. الدواداري، ابو بكر ابن عبدالله بن أيبك (736هـ/1335م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961م، ج6، ص390. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص109. الهمداني، **جامع التواريخ**، نشر إيران، طهران، 1342هـ، ص

38. الرهاوي، **المجهول**، التاريخ، عرّبه البيرأ بونا، 1986م، ص64. الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج2، ص313.

(17) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/1332م)، مهئِ ئيِنا غى غضمم ئلآخا، تحقيق: محمد فوزي، **الهيئة المصرية العامة للكتاب**، 1985م، ج26، ص313. الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد (643هـ/1245م)، **تاريخ دولة آل سلجوق**، اختصار الشيخ الفتح بن علي بن محمد البنداري، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978م، ص41.

(18) ياقوت، **معجم البلدان**، ج2، ص380- 381، ج5، ص202. الحميري، محمد بن عبد المنعم (900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، دار القلم، بيروت، 1975م، ص220. البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج1، ص360.

(19) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. الحسيني، صدر الدين أبي الحسن، **أخبار دولة السلاجقة**، اعتنى بتصحيحه محمد إقبال، ط1، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1984م، ص49. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص41. ابن كثير، أبو الفدا الحافظ (774هـ/1372)، **البداية والنهاية**، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ج12، ص107.

(20) سهيل زكار، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ص149.

(21) العمروس، محسن، **الحروب الصليبية في الشرق والمغرب**، ص16.

Philip,w. ,Bzyantium an Introduction , Basil Blackwell Oxford,1971,p.95

(22) سعيد برجاوي، **الحروب الصليبية في المشرق**، ط1، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1984م، ص63.

(23) اليزدي، **العراضة في الحكاية السلجوقية**، ص47.

(24) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261.

(25) جُرخ: آلة عليها قوس ثقيل يرمي السهام أو النفط، انظر: ابن العديم ، **زبدة الحلب**، ج2، ص265، هامش (1)، وترد عند سبط ابن الجوزي باسم جرجي أي بحرف جيم بعد الراء ،وهي مدينة تعرف باسم شنت جرجي بالقرب من الطريق الموصل للقسطنطينية. ولعل سبط ابن الجوزي أو المحقق أورد رسم الكلمة بقلب حرف الخاء إلى جيم لتصبح جرجي وبخاصة أن الكلمة لم تذكر في الرواية سبط ابن الجوزي بين أسماء الأقوام المرتزقة في الجيش الروماني وانما أوردها بين فئات الأسلحة التي استخدمت من قبل الجيش الروماني،

وهذا ما يؤكد أن جرخي هي آلة قتال لا جنس بشري. انظر: سبط ابن الجوزي، لدب ئكئلئم (1056–1086)، ص148.

(26) قنطار، وحدة وزن، يساوي مائة رطل ويساوي 42. 33كغم من الذهب، وقد استعملت أوزان متعددة للقنطار في الأقطار الإسلامية، القنطار الشامي= 185كغم، القنطار الحلبي= 100رطل= 228كغم، أما في الدولة السلجوقية في آسيا كان القنطار يساوي56,443كغم، ولعل هذا الوزن المقصود في الرواية، انظر: فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ص40– 43.

(27) الرطل، يساوي أساسا (12) أوقية زمن الدولة العباسية، أما الرطل الفلسطيني في العصور الوسطى يساوي 2.5 كغم، الرطل الدمشقي يساوي معدل 1.85 كغم، الرطل الحلبي في القرن

الحادي عشر يساوي 1.5 كغم، انظر: فالترهنتس، **المكاييل والأوزان**، ص30– 35.

(28) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65.

(29) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص43.

(30) ابن كثير، **البداية**، ج12، ص107.

(31) الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص393.

(32) ابن العبري، **تاريخ مختصر الدولة**، ص322. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج1، ص97.

(33) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ/1469م)، **تاريخ ابن خلدون**، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1958م، ج3، ص582. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص313. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص198.

(34) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص47. اليزدي، **العراضة في الحكاية السلجوقية**، ص46. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص313.

(35) **تاريخ ابن القلانسي**، ص99. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1973.

(36) وليم الصوري، ج1، ص158.

(37) البجناك (البتشينغ)، طائفة من العناصر التركية كانوا يتصف افرادها بسمار بشرتهم، فقراء، عبروا نهر الدانوب إلى جوف الإمبراطورية البيزنطية، وكانوا يشكلون خطورة واضحة على أراضي الإمبراطورية، والحقوا الهزائم في بعض مدنها وتجرأوا على محاصرة القسطنطينية عام 322هوتوغلوا حتى بلاد الإفرنج، ويعتمدون على السلب والنهب، وفيما بعد اصبحوا يعملون

كمرتزقة في جيش الإمبراطورية. انظر: ابن الأثير ، **الكامل**، ج1، ص260. ياقوت، **معجم البلدان**، ج1، ص323. ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد، **رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر**، تحقيق: سامي الدهان. مديرية إحياء التراث العربي، دمشق، 1979م، ج1، ص137.

Stton, K. M. ,A History of the crusades,vol. 1: The first Hundred years, ed. by M. W. ,Baldwin, Philadelphia1958,n. 3. Ostrogorsky G. ,History of the Byzantine state trans. by J. Hussey,Oxford, 1956, p. 227, 245,259,303.

(38) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص47. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج1، ص97.

Rice,The seljuks in Asia,p37.

(39) **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص582. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص313. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. انظر: ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج2، ص265.

Rice,The seljuks in Asia,p.37

(40) الكرج (الخزر) والقفجاق، جماعات من معتنقي النصرانية كانوا يسكنون جبال بلاد أرمينية، عبرت هذه الجماعات المناطق الإسلامية المتاخمة وقد شكلت غاراتهم خطورة على أراضي ديار بكر وشمال الجزيرة الفراتية. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص587. **مؤلف سرياني رهاوي (زكار)**، ج2، ص481. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص79,201.

Mattieu d,Edessa,inR. H. C-D. Arm. vol. 1. p.127-130. Chronique de Gregoire le pretre, in R. H. C-D. Arm. vol. 1,p.615.

(41) تاليوت، **السلاجقة**، ص35- 36. أحمد الشريف، **العالم الإسلامي**، ص595. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج1، ص97. انظر: ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج2، ص265.

Rice,The seljuks in Asia,p. 37.

(42) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص47.

(43) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. **البطريق**، قائد عسكري روماني يتولى قيادة عشرة آلاف رجل، وكان يتم توزيع عدد من بطارقة الروم مع جندهم في كور الإمبراطورية، ويعرف كبير البطارقة باسم الدمستق. الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص157- 158.

(44) انظر: ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج2، ص265. ويحدد ابن العديم عددهم بـ (30) الف. **القومص**، يرد في المصادر العربية باسم القومس، القمص، القومص، جمعها قمامصة، وتعني الكونت تعريب للفظ اللاتين comes وهو قائد روماني يأتي تحت يد البطريق ويتولى قيادة مائتي رجل. الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص157. أما **الدوقس**، لفظ يتردد

في المصادر العربية للدلالةعلى حكام الإمارات الصليبية، ويتولى القومس منصب عسكري مضاهي للقومص، برتبة أمير اماره. انظر: ابن الاثير، **الكامل**، ج9، ص171.

(45) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261.

(46) الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص393. انظر: ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج2، ص265.

(47) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص64. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص142- 147.

(48) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1974. ابن ميسر، **المنتقى من أخبار مصر**، ص35-36. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج2، ص302. ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج2، ص19.
Rice,The Seljuks in Asia,p.37.

(49) النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص313. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65.

(50) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص147. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص260.

(51) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص47. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص47.

(52) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص313. **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص582. ابن العبري، **مختصر تاريخ الدول**، ص322.

(53) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40. انظر: احتلال الامبراطور رومانوس أولا مدينة ملازكرد. مار، ميخائيل الكبير، **تاريخ ميخائيل السرياني**، ط1، ترجمة مار غريغوريوس، دار ماردين، دمشق، 1996م، ج3، ص138.

(54) اليزدي، **العراضة في الحكاية السلجوقية**، ص46.

(55) ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص65. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص147. ويذهب الأصفهاني بأنه أرسلهم إلى مدينة تبريز. انظر: الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40.

(56) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40، 41. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص313. ابن العبري، **مختصر تاريخ الدول**، ص322. الحسيني، **أخبار دولة السلاجقة**، ص47. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65.

(57) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص148. انظر: الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص392– 393.

(58) ابن كثير، **البداية**، ج12، ص107. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261.

(59) اليزدي، **العراضة في الحكاية السلجوقية**، ص46.

(60) **تاريخ ابن القلانسي**، ص99. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1973.

(61) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص152.

(62) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص322. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42. النويري، **نهاية الأرب**، ج6، ص314. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110. **تاريخ ميخائيل السرياني**، ج3، ص138.

Bryennios,Histoires-N. Bryennios ,Les Quatre Livres des Histoires, Fren Irans, H. Gregoire, B, 23,1953, pp. 463-530. . Matthieu d,Edesse, Chronique-Matthieu d,Edesse, Chronique,Extraits de la Chronique de Matthieu d,Edesse,962- 1136,avec la Continuation de Gregoire le pretre Jusqu,en1162,ed. M. E. Dularier,paris,1857.

(63) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110. أديب السيد، **أرمينية في التاريخ**، ص208.

(64) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42.

(65) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110.

(66) الرَيّ، مدينة مشهورة من امهات البلاد، وتعد قصبة بلاد الجبال، كثيرة الخيرات بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا بالقرب من خراسان. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج3، ص116– 117.

البكري، **معجم ما استعجم**، ج2، ص690.

(67) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42. الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص322. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص314. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65.

(68) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. سهيل زكار، **مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ص148.

(69) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص147. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40.

(70) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص322. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص314. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65.

(71) **تاريخ ميخائيل السرياني**، ج3، ص138.

(72) رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج1، ص98.

Rice,The Seljuks in Asia,p.38.

(73) **تاريخ ميخائيل السرياني**، ج3، ص138

(74) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص148. ويشاركه في الرأي ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110.

(75) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65.

(76) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42. ابن كثير، **البداية**، ج12، ص107.

(77) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49.

(78) سورة آل عمران، آية 126. سورة الأنفال، آية 10.

(79) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66.

(80) انظر: نص الخطبة عند عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص180-181. وانظر أيضاً: الراوندي، **راحة الصدور**، ص188. الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص47. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1979.

(81) الحسيني، **أخبار الدولة العباسية**، ص49. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص392.

(82) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص322. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص393. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص314. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص262.

(83) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص262. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056 – 1086)**، ص148. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص393- 394.

(84) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص50.

(85) انظر: عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص184- 185.

(86) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص52.

(87) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص52.

(88) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980. انظر: الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص41. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. سبط ابن الجوزي، ص148. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص322. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12، ص107. **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص582. **تاريخ ابن القلانسي**، ص89- 99.

(89) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40.

(90) وليم الصوري، ج1، ص158.

(91) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص147. انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص261. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص392.

(92) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص582. Rice,The Seljuks in Asia,p38-39

(93) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص40. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص392- 393. أديب السيد، **أرمينية في التاريخ**، ص207- 208. سعيد برجاوي، **الحروب الصليبية**، ص63.

(94) أديب السيد، **أرمينية في التاريخ**، ص207.

(95) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص41.

(96) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42.

(97) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص148. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص65. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110.

(98) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42.

(99) **تاريخ ميخائيل السرياني**، ج3، ص139.

(100) وليم الصوري، ج1، ص158.

(101) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص149. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص362. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص394. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110.

(102) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص149. الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص49. ابن الأثير، **الكامل**، ج1، ص66. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص394.

(103) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص322. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص314.

(104) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. ابن كثير، **البداية**، ج12، ص108.

(105) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980.

(106) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42- 43.

(107) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1977.

(108) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66.

(109) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص149.

(110) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص50. انظر: الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص394.

(111) الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص42.

(112) انظر: عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص104، 185.

(113) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص262.

(114) عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص264.

(115) عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص185.

(116) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص51. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص149. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص198. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص322- 323. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص314. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص44. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص262. عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص186. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110.

(117) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. ابن كثير، **البداية**، ج12، ص108. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص149. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص262. انظر: وليم الصوري، **معاملة السلطان لرومانوس**، ج1، ص158- 159. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395. **تاريخ ميخائيل السرياني**، ج3، ص139. وليم الصوري، ج1، ص158.

(118) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص149- 150. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66- 67. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص262. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110. انظر: وليم الصوري، **معاملة الامبراطور الأسير**، ج1، ص158- 159.

(119) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص150. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص263. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص110- 111. **تاريخ ميخائيل السرياني**، ج3، ص139.

(120) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص150. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص111. وليم الصوري، ج1، ص159.

Bryennios, Histoires, p.494. Attaliates, Historia, M.Attaliates, Historia, ed Bekker ,Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (C. S. H. B.), Bonn,1839,p. 146-166. Gesta Roberti ,les Gesta Roberti Wiscardi de Gullaume d,Apulie ,tr. M. Mathieu ,B., 20, 1950, p.92. Scylitzes,Synopsis,I. Scylitzes,Synopsis Historiarum, new ed. I. Thurn , Berlin ,1973. p. 700.

(121) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص263. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص150. يحدد المبلغ بعشرة آلاف آلاف دينار وبعد تخفيضها أصبحت ألف ألف وخمسمائة ألف دينار. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. يحدد بألف ألف وخمس مائة ألف دينار، وكذلك ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص 1980. انظر: عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص186. ويحددها ابن العبري بالف ألف. انظر: ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص111. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395.

Bryennios, Histoires,p. 494. Matthieu d,Edesse, Chronique,p.169. Glycae, Annales,M. Glycae, Annales, ed Bekker , CSHB , Bonn,1836,p. 611. Ephraemius, Imperatorum, Ephraemius,Monachi Imperatorum et patriarcharum ed. A. Maio,in CSHB, Bonn,1840,p. 146.

(122) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص263. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص150. انظر: عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص186. "وللهدنة ثلاث مئة ألف وان يسيّر في كل سنة عشرين ألف دينار". الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395.

Matthieu d,Edesse, Chronique,p. 169. Bryennios,Histoires,p. 494. Glycae, Annales, p. 611. Ephraemius, Imperatorum, p. 146.

(123) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056-1086)**، ص150. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص263. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395.

Ephraemius, Imperatorum, p.146. Rice,The Seljuks in Asia,p.38-39 Bryennios, Histoires,p.494. Matthieu d,Edesse, Chronique,p.169. Glycae, Annales, p. 611.

(124) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص263. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1980. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص150. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395.

Glycae, Annales, p.611. Bryennios, Histoires,p.494. Ephraemius, Imperatorum, p.146. . Matthieu d,Edesse, Chronique,p. 169.

(125) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص150. انظر: عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص186.

(126) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص263. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص150. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص111. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1973. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص395.

(127) Rice,The Seljuks in Asia,p.39

(128) الفرسخ، يساوي ثلاثة أميال وكل ميل الف باع وكل باع أربعة اذرع شرعية ويساوي طول الفرسخ حوالي 6كم. فالترهنتس، **المكاييل والأوزان**، ص94.

(129) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص151. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص323. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص396. ابن كثير، **البداية**، ج12، ص108. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص315. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص111. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص582. اليزدي، **العراضة**، ص48. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص264.

(130) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1977.

(131) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص152. الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص396.

(132) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67.

(133) عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص263.

(134) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص264. انظر أيضاً: ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1977. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان (1056–1086)**، ص152.

(135) الحسيني، **أخبار الدولة السلجوقية**، ص53.

(136) عصام، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة**، ص187.

(137) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص66. الأصفهاني، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ص43.

(138) **تاريخ ابن القلانسي**، ص99. انظر: ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1977.

(139) وليم الصوري، ج1، ص159. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص112. انظر: **تاريخ ابن القلانسي**، ص99. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص256. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج4، ص1973. تاليوت، **السلاجقة**، ص39. سعيد برجاوي، **الحروب الصليبية**، ص65. أديب السيد، **أرمينية في التاريخ**، ص211.

Rice, The Seljuks in Asia,p.39. Glycae, Annales, p.612. Scylitzes, Synopsis, p. 702-703.

(140) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. النويري، **نهاية الأرب**، ج26، ص315. **تاريخ ابن خلدون**، ج3، ص582. ابن كثير، **البداية**، ج12، ص108. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج8، ص264. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص112.

(141) الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص396.

(142) ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص67. انظر: النصيحة ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص112.

(143) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص112.

(144) Rice,The Seljuks in Asia,p. 39.

(145) وليم الصوري، ج1، ص159.

Michel Le Syrien, in R. H. C-D Arm. Vol. 1,p.324. Vasiliev: History of the Byzantine, Vol. 2,p.382,394. Ostrogorsky, History of the Byzantine, p. 357,359. Rice,The Seljuks in Asia,p. 39-40,43-52. Philip,Byzantium,P. 85,92,97.

(146) تاليوت، **السلاجقة**، ص39. سهيل زكار، **المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية**، ص51.

Rice,The Seljuks in Asia,p. 42-52.

(147) وليم الصوري، ج1، ص159، 160.

Rice,The Seljuks in Asia,p.36-39. Vasiliev: History of the Byzantine, Vol. 2,p.380,382. Ostrogorsky, History of the Byzantine, p.356,359.

(148) الراوندي، **راحة الصدور**، ص120. ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص73- 74. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص113.

Rice,The Seljuks in Asia,p. 40.

) 149(Rice,The Seljuks in Asia,p. 44 Vasiliev: History of the Byzantine, Vol. II,p.395.